جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية

المستوى: السنة أولى جدع مشترك	المقياس: مدخل إلى علم الأثار
أستاذ المقياس: الدكتور التجاني العمودي	المحاضرة : السابعة

موضوع المحاضرة: الحفرية الأثرية (1)

بعدما كان الهدف من التنقيب هو العثور على تحف أثرية ذات أهمية فنية و مادية و لعرضها في القصور أو المتاحف أصبح في مطلع القرن20 تتلخّص في الحصول على أكبر قدر من المعلومات في كل ما هو موجود في الموقع و المحافظة على كل البقايا مهما كانت صغيرة .و بهذا أخذ الصبغة العلمية الصحيحة.

تعريف الحفرية الأثرية :

الحفرية الأثرية هي عملية البحث عن الآثار الموجودة تحت سطح الأرض من مباني و لقى أثرية مختلفة. و العمل على إخراجها بنزع الأتربة التي تغطّيها .فالحفرية هي عملية تخريب قبل كل شيء، لهذا يجب أن تكون عملية الحفر دقيقة جدا و على المنقب أن يكون جدّ حذر لأنه يدمّر الشواهد الأثرية و يهدّمها. و يجب أن تتمّ هذه العملية بطريقة منتظمة وفق طرق و مناهج علمية منظّمة للاستفادة من كل ما يتمّ العثور عليه، و للتّخفيف من عملية التّخريب هذه، يجب على المنقّب تسجيل كل خطوات عمله بتسجيل كل المعلومات بواسطة الكتابة و الرّسم و التّصوير الشّمسي والمحافظة عليها وترميمها لاستنباط التاريخ منها، وإلقاء أضواء جديدة على الحضارة الإنسانية الماضية وتطورها، باعتبارها شاهدا ماديا لها.

أولا : قبل الحفرية :

قبل الانطلاق في أيّ حفرية لابد من القيام بخطوات تحضيرية ضرورية للبدء في الحفرية لضمان النّجاح التّام لها و الوصول بها إلى الأهداف المنتظرة منها في البحث الأثري ، و من هذه الخطوات:

أ- الرّخصة :الحصول على التّصريح من الهيئة المختصّة والمخول لها قانونا التصريح والموافقة على الحفرية وتتمثل الجهة الوصية في وزارة الثقافة .في كل الدّول تمثّل هذه الوثيقة أهميّة كبرى فهي بمثابة ضمان لفرقة البحث الذي تتحصّل عليه ويمنع بموجبه لأي شخص أخر أن يحفر في المنطقة طوال مدّة التّرخيص، و هناك هيئات خاصة تمنحها بعد دراسة الطّلب المقدّم لهذا الغرض المرفق ببرنامج و أهداف الحفرية، و على الأثري أن يأخذ هذه الوثيقة بكل الاهتمام و أن يعمل قدر المستطاع على إقناع الإدارة بضرورة الحفرية، كما عليه أن يبكّر في طلبها حتى لا يتعطّل تنفيذ البرنامج الزمني للحفرية لأنّ منحها يخضع لعدّة إجراءات تطول و تقصر أو تسهل و تتعقّد حسب ملكية الأرض، ففي حالة ملكيتها للدّولة تخضع لإجراءات بسيطة، أمّا في حالة الملكية الخاصة للأفراد فلابدّ من التّكيف مع حالاتها المتغيّرة و يمكن ذكر بعض الحالات التي توضح هذه الظروف فيما يلي:

في الحالات البسيطة يمكن أن يطلب من المالك الإذن بالحفر بعد التّعهد إليه كتابيا بعدم إحداث أي خسائر في الزراعة، أو بدفع تعويضات مالية عن أيّ خسائر قد تحدث. في بعض الأحيان يمكن تأجير الأرض طوال مدّة الحفرية.

في الحالات المعقّدة يستعان بالسّلطات التي تتدخّل لنزع الملكية من المالك حسب قوانينها الخاصة في حماية التراث الأثري.

ب- فرقة التّنقيب : تكوين الفريق الذي يشترك في الحفرية، يزيد عدده و تتنوّع اختصاصات أف ا رده حسب طبيعة الموقع و المدّة الزمنية المقترحة و الكفاية المالية .يتكون عادة من:

- **رئيس الحفرية(أو المدير)** :وهو المسؤول عن كل صغيرة وكبيرة في ما قبل الحفرية وأثنائها وبعدها، فهو يشرف على الأمور العلمية و التنظيمية، عادة ما يكون باحثا له مؤهلات علمية و خبرة في الحفريات والإشراف على تسييرها.
- **نائب رئيس البعثة(أو مساعد المدير** :)وهو الذي ينوب عن الرئيس إذا كان غائبا للقيام بأعمال أخرى، وهو الآخر يشترط فيه أن يكون باحثا متخصصا، بحيث يختار من بين المختصّين بالآثار، و سبق له أن اشترك في كثير من التّنقيبات و اكتسب خبرة كبيرة في شؤون الحفر.

- **المشرفون :** يختلف عددهم من موقع لآخر، فكلما كان الموقع كبير ا زد عددهم و العكس صحيح، و مهمّتهم الإشراف على منطقة من مناطق البحث و ذلك بم ا رقبة أعمال الحفر و تسجيل الملاحظات و رسم مقاطع الحفر و التأكد من حفظ المواد الأثرية في الأكياس و الصّناديق حسب الطّبقات التي تعود إليها، و تكون مسؤولية شاملة لعدد معيّن من العمّال يتابع أعمالهم و يعدّ تقارير يومية عن سيرها، و من أهمّ صفاته الدّقّة في العمل.
- **أساتذة وباحثين متخصصين** في مختلف ميادين علم الآثار وعلوم أخرى كالهندسة والكيمياء والجيولوجيا ... الخ. بالإضافة إلى المسجّل الذي يقوم بتسجيل كلّ المادة الأثرية عند اكتشافها .و ال رسام الذي يقوم برسم الخرائط و مقاطع المباني و القطع الأثرية الصغيرة و الأواني الفخارية و شقفها .و المصوّر الذي يقوم بأخذ صور الموقع من زوايا مختلفة.

كما يستحسن أن تكون اليد ا لعاملة أساسا مكونة من طلبة الآثار، فهم من جهة لهم حس اثري أكثر من غيرهم، و من جهة أخرى حتى تكون لهم فرص للتدرب ميدانيا، وإذا تطلب الأمر الاستعانة بيد عاملة غير متخصصة فيمكن ذلك، إضافة إلى توفير حراس للموقع.

ت- دراسة الموقع :انجاز دراسة كاملة للموقع من جميع الجوانب سواء التاريخية أو الطبوغرافية وغيرها . فأهم واجهات عالم الآثار عن اختيار موقع أثري تنحصر في دراسة هذا الموقع قبل بدأ الحفر فيه، لأن عبارة موقع أثر ، أو منطقة أثرية تعني أولا أن يكون لهذه المنطقة تاريخا، وتعني ثانيا أن تكون لها بعض الظواهر الأثرية التي توضح أهميتها، وتعني ثالثا أن تكون هناك إمكانية قيام بعض البعثات في الماضي بالتنقيب في أجزاء منها، وفي هذه الحالة كان على الأثري أن يدرس ذلك جيدا، وأن يحدد المناطق التي سبق الحفر فيها و المناطق التي لازلت بكرا منها .أما إذا انعدمت تنقيبات سابقه في المنطقة المختارة للحفر، فيجب على الأثري أن يدرس بقية الجوانب المتعلقة بها، ولا سيما ما يختص بظواهرها الأثرية السطحية، إذ من المعروف أن كل المناطق الأثرية يمكن الاستدلال عليها من النصوص القديمة أحيانا، ومن الظواهر الطبيعية التي تميز سطحها أحيانا أخرى، وأهم هذه الظواهر هو وجود تلال ممتدة غير عالية تلفها في معظم الأحيان رمال أو تربة سافية لأن أطلال كل تل من هذه التلال تكون بمثابة حاجز للرمال السافية فتتراكم عليه هذه الرمال، وتطمس معالم أطلاله بمرور الزمن عن طريق تغليفها والامتداد بامتدادها .

ث- مخيّم الحفرية :اختيار موقع الإقامة للفريق و تحديد القاعات المختلفة له(قاعة الرّسم، قاعة البحث، قاعة لوضع اللقى و المكتشفات، قاعة للحفظ و التّرميم، قاعة الأكل ... الخ)، مع ضرورة مراعاة القرب من الموقع و توفّر الأمن .إذا كانت منطقة الحفر بعيدة عن جميع الأماكن المعمورة التي يتوفر فيها وجود مبان للإقامة فيها، وجب علي الرئيس إقامة مخيم قريبا من منطقة الحفر، وعليه أن يعمل على تجهيزه بكل وسائل الراحة للمشتغلين بعمليات التنقيب وخاصة إن كان موسم الحفرية سيطول بضعة أشهر.

ج- تحديد المخابر التي يعتمد عليها عند الحاجة .

ح- تجهيز الحفرية بالأدوات اللازمة لكل عملية - .مثل الأجهزة والوسائل ومعدات الحفر والقياس ومختلف أدوات الكتابة والرسم ...الخ.

خ - تجهيز الحفرية بأدوات وأدوية للإسعافات الأولية السريعة وخاصة بأمصال وجهاز للحقن للاستخدام ضد لسعة العقرب أو عض الثعبان، وضد التسمم من جروح بسبب أدوات معدنية أو مسامير...

د- توفير الأموال اللازمة و إعداد مي ا زنية صرفها و تكليف المسيّر الذي يتولّ تنظيمها- .

ذ - المسح الأثري للموقع وتقسيمه :انجاز مسح أثري شامل للموقع المختار و د ا رسة نتائجه بدقّة كبيرة باعتبار أنّ المسح يسمح بطرح العديد من التّساؤلات التي تمثّل القاعدة الأساسية للانطلاق في الحفر بغية الإجابة عن تلك التّساؤلات.

بعد دراسة الموقع بالطريقة المشار إليها يتم تجهيزه للحفر الأثري طبقا للمراحل الست التالية:

1- تصوير الموقع ووصفه قبل بدء الحفر فيه لتسجيل تضاريسه الطبيعية، و أهم ظواهره السطحية بالصورة الفوتوغرافية، والكلمة الأثرية الوصفية.

2- جمع الملتقطات السطحية المتناثرة فيه ووضعها في سلة خاصة رفق بطاقة البيانات المتعلقة بها .
3- اختيار الموقع الذي ستلقى فيه مخلفات الحفر من الأتربة ونحوها(الردم Remblai) ويجب أن يكون ذلك في مكان بعيد تماما عن امتدادات التلال الأثرية المزمع حفرها، بعيدا عن الموقع الأثري حتّى لا نضطرّ لإزالته مرّة أخرى.
4- إسقاط المربع الذي ستبدأ أعمال الحفر فيه على الخريطة الشبكية العامة للموقع ككل .
5- بدء أعمال الحفر بعد إجراء المجس الاختباري (SONDAGE) عن طريق كشط الطبقة السطحية بعمق يتراوح بين 11 و 21 سم أملا في تحديد أية آثار معمارية كالأجزاء العليا للجدران ونحوها.
6- إعادة التصوير الفوتوغرافي قبل النزول بمستويات الحفر إلى أية أعماق أخرى بعد الطبقة السطحية، ويتم هذا التصوير قبل كل نزول إلى طبقة تالية من طبقات الحفر.

المجسّ الاختباري(SONDAGE) :

من المعروف أن عملية الجص بواسطة الخنادق التجريبية تعد واحدة من أكثر المحاولات فائدة بالنسبة للحفر في مواقع المدن القديمة التي تكون أبنيتها قد تهدمت ولم يبق من جد ا رنها إلا ما لا يزيد غالبا عن متر أو مترين ارتفاعا، بينما تظل هذه الجد ا رن ممتدة بامتداد الموقع عرضا، ولابد لأي جزء منها من ثم أن يظهر في أحدى نقاط الخندق التجريبي، فإذا حدث أن تم اختبار منطقة أثرية بعينها، وكانت هذه المنطقة واسعة ممتدة، ويود العالم الأثري أن يحدد نقطة بدايته بعد أن وجد صعوبة في الاستدلال على هذه النقطة، كان عليه في هذه الحالة أن يلجأ لما يسمى بالجص، ومثل هذه العملية تتم عن طريق حفر مجص اختباري أو خندق تجريبي يصل في نهايته السفلى إلى الأرض الطبيعية(الأرض البكر).

أثناء الحفرية- :

يمر مسار القطع في حقل الحفريات بسلسلة من المراحل الوجوبية وهي :**الكشف عن الآثار، التسجيل، الرفع، الغسل، الغربلة، وضع العلامات، التهيئة و النقل**.

أ بداية الحفر- :

بعد دراسة الموقع ومسحه وتجهيزه و عمل المجصّ الاختباري فيه، تبدأ الم ا رحل الأولى لحفره بنظام الطبقات الذي يعد أنسب النظم للحفر في المواقع الأثرية، ويتم الحفر في هذه الحالة عبر سبع مراحل وهي:

1- **تنظيف الطبقة السطحية** المشكلة من النفايات وبقايا الأعشاب، وعمل المجص الاختباري المشار إليه أعلاه.
2- **الحفر بمستوى أفقي طبقة بعد طبقة** وملاحظة ظواهر كل منها بدقة كاملة وتحديد العلاقة فيما بين هذه الطبقات بعضها البعض وفيما بينها وبين المعثورات التي وجدت في كل منها.
3- **متابعة ظهور أية أحجار أو أدوات** والعمل على كشفها عند ظهورها، بكل **دقة وعناية**، لأن هذه البقايا إما أن تكون مجرد أحجار متساقطة لا أربطة بينها، وإما أن تكون جدارا أو جزء من جدار، وفي هذه الحالة يكون المنقب قد عثر على مفاتيح بداياته.
4- ترك **فواصل ترابية مؤقتة** بين المربعات لمتابعة رسم الطبقات و ربطها بالظواهر الثابتة الأخرى في المربع كالجدران والأفران والقنوات ونحوها.
5 - **جمع والتقاط الكسر الفخارية المتناثرة فوق السطح** من أجل الفحص و التحليل لاستكمال كافة البيانات والدلائل اللازمة لدراسة الموقع خلال أعمال النشر العلمي عنه.
6- **تسجيل أوصاف كل اللقى الأثرية** بدقة كاملة وبأبعاد ثلاثية(العمق والبعد عن الجدارين)وتصويرها قبل وأثناء وبعد رفعها من مكانها.
7- **تسجيل كافة البيانات والظواهر الأثرية**، ويتم عن طريق **الوصف التفصيلي** لمراحل سير العمل وعمل **المساقط الأفقية والمقاطع** للأطلال المعمارية **ورسم الطبقات المكتشفة** والظواهر المستقرة في مقاطعها **وتصوير المعثورات** في مواضعها **وتنظيفها** وعمل **الرسومات الهندسية** المطلوبة لها.

ب الحفر بنظام الطّبقات- :

تعتبر من أهم الاكتشافات الحديثة بالنسبة لطرق الحفر والتنقيب، فهي تساعد على إعطاء دلائل تاريخية متسلسلة عن الموقع، وهي تتطلب تطبيقا علميا دقيقا يهتم بوصف كل طبقة يتم حفرها بتفصيل وعناية، لأنها تفيد في عملية تحديد الأبنية المختلفة التي تعاقبت على الموقع الأثري الواحد، وتعطي من ثم إمكانية تركيب عناصرها المتهدمة.

أنواع الطبقات:

يشمل الموقع الذي استمرت فيه حياة مجموعات بشرية مختلفة في أزمنة تاريخية متعاقبة على العديد من الطبقات وهي:

1- **الطبقة العضوية أو الرسوبية** التي تتشكل من جراء تجمع مياه الأمطار والسيول و ترسب الأتربة بفعل الرياح و العواصف ونمو النباتات البرية والعشبية.

2- **الطبقة السكنية** وتتكون مما يخلفه الإنسان في أعماله اليومية من النفايات ورماد الموقد والأفران التي غالبا ما تكون مختلطة بكسر الأوعية المنزلية ومخلفات الإصلاحات والترميمات وبقايا الحيوان والإنسان ونحوها، ومرور الزمن على إلقاء هذه المخلفات بعضها مع بعض ينتج عنه نشأة مستويات مختلفة الارتفاع في المنطقة الأثرية.

3- **طبقة المحروقات** التي تنتج عن كوارث الح ا رئق العامة التي قد تنشب في المنطقة السكنية للموقع الأثري بمحض الصدفة أو فعل فاعل، وتتكون غالبا من مادتين هما الرماد والأخشاب المتفحمة، وأحيانا تتكون الطبقة من مادة واحدة، هي الأخشاب المتفحمة فقط، وكثي ا ر ما يصعب التمييز بين الأخشاب المتفحمة وبين المواد العضوية التي تكون قد تفحمت هي الأخرى .وطبقة المحروقات بشكل عام تعد الطبقة الفاصلة بين م ا رحل الاستيطان السكني للمنطقة الأثرية.

4- **طبقة الهدم والتدمير والانهيار** الناتجة عن كارثة عارمة مباشرة مثل الح ا رئق والسيول التي تؤدي غالبا إلى هجر الموقع الأثري، وتحدد طبقة الهدم والانهيار هنا نهاية عمر الطبقة السكنية فيه.

5- **طبقة الردميات والنفايات** التي توجد أحيانا مع طبقة التدمير والانهيار، ومن الصعب تحديد صفات واضحة لتركيبات هذه الطبقة، نظرا لأنها تتكون دائما مما كان متوفرا من المواد التي ردم بها الموقع ، وطبيعي أن تكون هذه الطبقة جد مختلفة التركيب.

6- **طبقة البناء والاستيطان** التي تظم مكوناتها مستويات عديدة مجتمعة تجسد في مجملها مراحل الإقامة والاستمرار أو التداعي والانهيار للأبنية المختلفة التي يشمل عليها الموقع الأثري، وتوجد أسس البناء عادة فوق أنقاض طبقة أقدم منها، بحيث تتعاقب طبقات البناء في الموقع الأثري الواحد طبقة فوق أخرى.